Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن أقسى ما يفجع القلب في مأساة المدينة المنكوبة ، التناقص بين صورة الأمن والطمأنينة ، والأمل المشرق في الحياة ، وبين ما حدث لها من دمار .

كان الشباب ، الذين يتمثل فيهم معنى الأمل ويملأ قلوبهم حب الحياة والرغبة فيها ، وكان مرآهم خليقاً بأن يثير عطف الطواغيت فيتراجع الشر عن بصائرهم . كانوا يمثلون قوس قزح بأفراحهم ومسراتهم الصغيرة يملأون المدينة مرحاً وحباً وحياة ؛ كانوا العهد بين الله والأرض فقد خلقهم ليعمروها ويخلفوه فيها ، فماذا فعل بهم رب العالم الجديد ، الذهب ـ زيوس الوثني المتوحش ـ؟

***

ولكن هل الثروة ـ الذهب ـ شر بماهيتها ، وفي ذاتها ؟

إن الكتاب المقدس حين يصور « الجنة » وهي أعظم أحلام الإنسانية وأعلى أشواقها حيث لا شقاء ولا معاناة ، يصورها محفوفة بأنهار ، يذهب أحدها إلى أرض الذهب « الجيد » ، وبالتالي ، فليس الذهب في ذاته شراً . بل قد يكون فيه الكثير من الخير ـ « الجودة » ـ ولكن متى ؟ .

إن الذهب يكون خيراً حين يوضع موضعه الصحيح من عالم الإنسان ، وهو موضع الوسيلة لا الغاية ، الخادم لا السيد المعبود . حين يوضع تالياً للمثل الروحية لا سابقاً عليها ، وهذا ما حدده الكتاب المقدس إذ جعل الحديث عن الذهب بعد الحديث عن الجنة ـ أما حين تنعكس الأوضاع فإن الذهب ينقلب شراً لا خير فيه ، إذ يعود بالإنسان إلى عصر الوثنية القايني ، حين يجعل الثروة المادية ـ وهي وسيلة واحدة من وسائل كثيرة للحياة الطيبة الخيرة ـ الهدف والغاية والإله المعبود . ويبلغ الشر أقصى مداه ، ويتضاعف أضعافاً كثيرة ، حين يحاول الإنسان خداع نفسه فيظهر الشر بمظهر الخير . وحين يضع تبريراً أخلاقياً زائفاً لهذا الوضع الممسوح ، فيلبس الباطل قناعاً من الحق تجميلاً لوجهه البشع ، حينئذ يلتبس الأمر ويتعثر البسطاء ذوو النية الطيبة ، ويضلون الطريق الحق ببهرجة الباطل[1] .

نحن الآن في مدينة قايين ، في عصر الانشطار الذري ، العصر الذي أحلّ الذهب محل القيم الروحية ، وتلبس بقناعها ، جاعلاً منها طريقاً إليه . العصر المسخ الشائه .

لذلك ، فقد نضب النهر الخارج من الجنة إلى أرض الذهب الجيد ، وانقطع ماؤه . ولكنه

(١) يمتلك الأغنياء دائماً وسائل إعلام تجيد توجيه البسطاء إلى ما يريدون ، وتبث فيهم من الأوهام لتقودهم حسب مصلحتها ، ودائماً يكون التفسير الخاص للدين والمثل العليا هما المطية التي يبلغون بها هدفهم من الجماهير.